ثلاث رسائل في الطلاق

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الشريعة محتوية على الهدى والشفا والنـــور ، وأوصل من استرشد بكلامه وكلام رسوله إلى كل خيـــر وســـرور ، أحمده على أوصافه الكاملة وأسمائه الحسنى ، وأشكره على آلائـــه الباطنة والظاهرة وما له من عميم النعمى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته ، ولا نديد له فـــي عظمتـــه وكبريائه ومجده وأحديته ، وأشهد أن محمدا عبده ورســـوله خيـــر بريته ، اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلـــى آلـــه وأصـــحابه القائمين بحقوقه ونصرته .

وبعد .. ؛

الأسرة الآمنة المطمئنة هي التي تلتقي فيها النفوس علـــى المـــودة والرحمة ، والتعاطف والود ، وفي كنفها تمتد وشـــائج الرحمـــة ، وأواصر التكافل ،وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـــاتٍ لِقَـــوْمٍ يَتَفَكَّـــرُونَ (٢١) سورة الروم.

ولكن اختلاف الطبيعة البشرية وتباين الأمزجة والرغبات قد يـــؤدي إلى وجود خلافات بين الزوجين ، ولم تخل أسرة على مر التـــاريخ منذ بدء الخلق من وجود مشاكل وخلافات ،حتى في أشرف الأســـر وأزكاها وأعلاها ، في أسر الأنبياء والمرسلين ؛ فقد قتل قابيل أخاه

هابيل بعد أن رفض الامتثال لتشريع الله في الزوج فقد كان في تشريعهم النهي أن ينكح المرأة أخوها تُؤْمها، وينكحها غيره من إخوتها. وكان يولد في كل بطن رجلٌ وامرأة. فوُلدت امرأةٌ وسيمةٌ، وولدت امرأة دميمة قبيحة. فقال أخو الدّميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي. قال: لا أنا أحق بأختي. فقرّبا قربانًا، فتقبل من صاحب الكبش، ولم يتقبل من صاحب الزرع، فقتله.قال تعالى في كتابه الكريم : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) **سورة المائدة** ،فكانت أول مشكلة داخل الأسرة الإنسانية .

وهذا نبي الله نوح عليه السلام يواجه مشكلة مستعصية داخل أسرته ، وذلك برفض زوجه الإيمان به وبدعوته ، وكذا ابنه الذي رفض دعوة التوحيد ثم رفض أن يركب مع أبيه السفينة ، قال تعالى : " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) **سورة هود** .

وكذا نبي الله لوط عليه السلام الذي ابتلي بزوجة تضمر له الكفر والعداء وتستعدي قومها عليه ، قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) **سورة العنكبوت**.

وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام وحكايته مع زوجتيه : سارة وهاجر فحينما ولدت هاجر عليها السلام إسماعيل، اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها، فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم بعد أن أمره الله بذلك ، قال تعالى : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) **سورة إبراهيم**.

وها هو أشرف خلق الله وأكرمهم عليه سبحانه محمد صلى الله عليه وسلم لم يخل بيته من وجود بعض المشكلات والخلافات التي قد تمر بها أي أسرة على ظهر الأرض ،وقد حكى الله ذلك في كتب يتلي إلى يوم القيامة ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) **سورة الأحزاب** ، ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما اجتمع نساء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شَقَّ ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرًا.**تفسير السعدي ٦٦٣.**

بل عاتب الله تعالى بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم على إفشاءها سراً للنبي عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك سبباً لنزول سورة كاملة من سور القرآن الكريم وهي سورة التحريم التي قال الله تعالى في مبتدأها : " يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ".

(التحريم ١-٣).

أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت سورة التحريم بالمدينة، ولفظ ابن مردويه سورة المحرم. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزلت بالمدينة سورة النساء "يا أيها النبي لم تحرم". قوله: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" اختلف في سبب نزول الآية على أقوال: الأول قول أكثر المفسرين. قال الواحدي: قال المفسرون: كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فزارت أباها، فلما رجعت أبصرت مارية في بيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها: لا تخبري عائشة ولك علي أن لا أقربها أبداً، فأخبرت حفصة عائشة وكانت متصافيتين، فغضبت عائشة ومل تزل بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقرب مارية، فأنزل الله هذه السورة. قال القرطبي: أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة، وذكر القصة.

وقيل السبب أنه كان صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولا له إذا دخل عليهما إنا نجد منك ريح مغافير فحرم النبي صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه فأنزل الله هذه الآيات. تفسير ابن كثير ١٦١/٨، تفسير القرطبي ٣١٣/١٠ ، فتح القدير للشوكاني ٣٤٨/٥ صحيح البخاري (٥٤٣١).

بل واجه النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة في حياته الزوجية قد لا يتحملها أعتى الرجال ، وذلك أن زوجه الصادقة الصديقة الشريفة العفيفة المبرأة من فوق سبع سموات ، قد لاك سمعتها قوم ممن لا خلاق لهم ولا دين من المنافقين الذين اتهموها في عرضها وشرفها حتى برأها الله تعالى في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، قال سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)سورة النور.

ولكن برغم وجود المشكلات والخلافات الزوجية إلا أن الزوجين العاقلين هما اللذان يستطيعان التغلب على تلك المشكلات وأن لا يجعلا التوافه تتغلب عليهما ، بل يضعان الأمور في مسارها الصحيح.

بيد أن الحياة الواقعية والطبيعة البشرية تُثْبت بين الفينة والأخرى ، أنَّ هناك حالاتٍ لا يمكن معها استمرار الحياة الزوجية ، لذلك شرع الله الطلاق كآخر حل من حلول تتقدمه ، إن لم تُجْدِ كل المحاولات ، وأباح للرجل أن يركن إلى أبغض الحلال وهو الطلاق .

فقد تكون هناك الأسباب التي تجعل من الطلاق قد يضطر إليه الزوجان ، من تلك الأسباب :

١- قد يكون أحد الزوجين عقيما لا ينجب ، ونفس الآخر تتوق إلى طلب الولد ، وهو من مقاصد الزواج ، وعليه جبلت النفوس ، فإن حرمنا الراغب في الولد من فراق العقيم إلى زوج ولود آذيناه ، وقد يؤدى حرمانه إلى تقصيره في حق الآخر ، أو مساكنته على ضغينة وشقاق لهذا كان الفراق أسهل الحلول .

٢- وقد يكون بأحدهما عيب من مرض معد ، أو فقر مـــدقع ، أو سوء عشرة وخشن معاملة لم يجد معها نصح ولا صلح ولا تقويم ، فإن أبقينا على زواجهما كانت حياتهما نفورا وخصاما وإيذاء علـــى أي نحو من الأنحاء ، فتتبدل المودة التي أراد الشرع قطيعة وجفـــاء ، والرحمة ظلماً وقسوة ، ومن الطبيعي أن الأولاد الذين ينشأون في أسرة كتلك لا يرون فيها إلا البؤس والنـــزاع والـــشقاء تـــستمرئ نفوسهم الأذى فيخرجون إلى المجتمع جيلا يهدم ولا يبنى ، يفـــسد ولا يصلح ، وعندئذ يكون من صالح الزوجين والمجتمع أن يفترقـــا تطويقا لعنق الشر، وإغلاقا لمنافذ الشيطان ، وحماية للمجتمع .

٣- وقد يسلم الزوجان من المرض والفقر ولكن قد تدب النفرة في قلبيهما ، أو قلب أحدهما ، وتفشل أسباب استمالته وتطييب نفـــسه وفرصة الإنسان – كما يقولون – في الحياة واحدة ، فلماذا نجعلهـــا عذابا لزوجين تبين أن الوفاق بينهما مستحيل ، وأن حياتهما معـــا إهدار لحياتيهما معا فكان الفراق أسهل الحلول وأجداها .

من هنا شرع الله تعالى الطلاق وأخبرنا أنه ليس شراً كله ، بل قـــد يكمن الخير فيه ، قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِـــلُّ لَكُـــمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَـــسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) سورة النساء.

وقال سبحانه : "وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) سورة النساء.

عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ.أخرجه أبو داود (٢١٧٨) و(ابن ماجة) ٢٠١٨ .

عَنْ أَبِي مُوسَى ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : لاَ تُطَلَّقُ النِّسَاءُ إِلاَّ مِنْ رِيبَةَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يُحِبُّ الذَّوَّاقِينَ وَلاَ الذَّوَّاقَاتِ.أخرجه البزار (٧٠/٨ ، رقم ٣٠٦٤)والطبراني كما في مجمع الزوائد (٣٣٥/٤) وقال الهيثمي : فيه راو لم يسم وبقية إسناده حسن .

والطلاق ليس لعبة في يد الزوج وليس وسيلة للقسر والقهر ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التلاعب بأمر الطلاق ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، قال : قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَلْعَبُونَ بِحُدُودِ اللهِ . يَقُولُ أَحَدُهُمْ : قَدْ طَلَّقْتُكِ . قَدْ رَاجَعْتُكِ . قَدْ طَلَّقْتُكِ.أخرجه ابن ماجة (٢٠١٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ : النِّكَاحُ ، وَالطَّلَاقُ ، وَالرَّجْعَةُ.أخرجه أبو داود (٢١٩٤) و"ابن ماجة" ٢٠٣٩ و"التِّرمِذي" ١١٨٤ .

لذا فقد جعل الإسلام الطلاق كآخر الدواء لما يترتب عليه من تفكك الأسرة وتشرد وضياع الأبناء ، وكذا آثاره النفسية والاجتماعية .

روي أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت رآها زوجها وهي تصلي ، وكانت حسنة الجسم ، وكان بالرجل لمم ، فلما سلمت راودها ، فأبت ، فغضب ، وكان به خفة فظاهر منها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فيَّ ، فلما خلا سني وكثر ولدي جعلني كأمه ، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا ، ثم ههنا روايتان : يروي أنه عليه السلام قال لها : " ما عندي في أمرك شيء " وروي أنه عليه السلام قال لها : " حرمت عليه " فقالت : يا رسول الله ما ذكر طلاقاً ، وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليَّ ، فقال : " حرمت عليه " فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووجدي ، وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حرمت عليه " هتفت وشكت إلى الله ، فبينما هي كذلك إذ تربد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية ، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) **سورة المجادلة ، راجع : تفسير الرازي : ٢٣٥/١٥.**

من هنا كانت تلك الرسائل الثلاث التي أوجهها إلى كل زوجين قبل أن يفكرا في الطلاق ويأخذا هذا القرار الصعب.

(١) الرسالة الأولى : أيها الزوج ترفق قبل أن تطلق.

(٢) الرسالة الثانية : أيتها الزوجة لا تتسرعي في طلب الطلاق.

(٣) الرسالة الثالثة : الطلاق آداب وأخلاق.

والله اسأل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل ، وأن ينشر السكينة والسعادة على كل زوجين ، وأن يملأ بيوتنا نوراً وإيماناً وحكمة .

أموت ويبقى ما قد كتبته ** فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا

لعل إلهي يعفو عني بفضله ** ويغفر زلاتي وسوء فعاليا

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ١٥ ربيع الأول ١٤٣١هـ = ١/٣/ ٢٠١٠ م

(١) الرسالة الأولى

أيها الزوج ترفق قبل أن تطلق

بعض الأزواج لا يترفق ولا يتريث في أخذ قرار الطلاق ، بل قد يتسرع فيطلق قبل أن يحقق ، وقبل أن يأخذ الوسائل المشروعة في إصلاح الزوجة ،وهذه الوسائل قد شرعها الله تعالى لإصلاح الزوجة التي بدا منها النشوز والإعراض ، حتى صارت تتمرد على الحياة الزوجية بكل ما فيها ، وإن مما يفرح إبليس أن يرى الحياة الزوجية قد انفصمت عراها ، والميثاق الغليظ قد فض خاتمه ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً ، أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ.قَالَ الأَعْمَشُ : أُرَاهُ قَالَ : فَيَلْتَزِمُهُ. أخرجه أحمد ٣/٣١٤(١٤٤٣٠) و"مسلم" ٨/١٣٨(٧٢٠٧).

والزوج المؤمن العاقل هو الذي إذا رأى شيئاً يكرهه من زوجته تذكر قول الله تعالى :

" فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) سورة النساء.

وجعل شعاره قول النبي صلى الله عليه وسلم:" لاَ يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ. أخرجه أحمد ٢/٣٢٩(٨٣٤٥) و"مسلم" ٣٦٣٩ و"أبو يَعْلَى" ٦٤١٨ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كما أن عليه أن يفهم أن للمرأة طبيعة غير طبيعته ومزاج غير مزاجه ؛ فهي تحكم عاطفتها أكثر من عقلها ومشاعرها أكثر من حكمتها ، لذا فهي سريعة التقلب والتغير .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : "وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قَالُوا لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. أخرجه مالك "الموطأ" ١٣٢، و"أحمد" ٣٩٨/١(٣٧١١) و"البُخاري" ١٤/١(٢٩) و"مسلم" ٣٤/٣ و"أبو داود" ١١٨٩ .

وما عليه حينئذ إلا أن يتعامل بواقعية مع تلك الطبيعة ،عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ. أخرجه ابن أبي شَيْبَة (١٩٢٧٣). والبخاري (٣٣٣١) و"مسلم" ٣٦٣٨ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا.

ـ وفي رواية : لاَ تَسْتَقِيمُ لَكَ الْمَرْأَةُ عَلَى خَلِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالضِّلَعُ ، إِنْ تُقِمْهَا تَكْسِرْهَا ، وَإِنْ تَتْرُكْهَا تَسْتَمْتِعْ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ

.أخرجه "أحمد" ٤٤٩/٣(٩٧٩٤) و"البُخاري" ٥١٨٤ و"مسلم" ٣٦٣٧ و"ابن حِبَّان" ٤١٧٩.

وما عليه إلا أن يتحمل هفواتها وأن يرضى بما قسم الله تعالى له ،روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال ما حاجتك يا رجل فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال: عمر يا أخي إني احتملتها لحقوق لها علي إنها طبَّاخة لطعامي خبَّازة لخبزي غسَّالة لثيابي مُرْضِعة لولدي وليس ذلك كله بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة. النسائي : عشرة النساء ٣٨/١.

وما أعظم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل أراد أن يطلق زوجته "لأنه لا يحبها" .: ويحك! ألم تبن البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم.

قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عمل عندك؟قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فآبي. فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان! أسألك بالله أن تتزوجني، فأحضرت أباها، وكان فقيراً فزوّجني منها، وفرح بذلك.فلما دخلت إليّ رأيتها عوراء، عرجاء مشومة!! قال: وكانت لمحبتها لي تمنعني الخروج فأقعد حفظا لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئا. فبقيت هكذا خمس عشر حتى ماتت، فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي لقلبها. صيد الخاطر (١ / ١٣٢).

ولا ينظر إلى أخطاء زوجته بمنظار أسود يرى فيه الحبل جبلا ، والنقطة بحرا .

قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** كما أن عين السخط تبدي المساويا

وقال آخر:

نظروا بعين عداوة لو أنها *** عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

روي أن رجلا من الصالحين تزوج من امرأة حمقاء خرقاء ذات افن وكانت تحمل عليه بمناسبة أو بدون مناسبة بسبب وبغير سبب وكان عتوها وعيثها قد بلغ مبلغا لا يحتمل ولا يقدر عليه احد فنصحه احد أصدقائه بإطلاق سراحها وتطليقها فما كان من الزوج المجني عليه إلا أن قال:إنني اصبر عليها صبرا يجازيني الله تعالى به . واحتمل من إذاها ما أعانني الله تعالى على الصبر عليه وأكره إن أطلقها

فيبتلى بها غيري فانا اقوي من الشيطان ولن أكون مفتونا لكــن لا اظم لغيري أن يفلت من الفتنة.

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين ، وكان يزوره في كل سنة مرة فجاء لزيارته فطــرق البــاب فقالــت امرأته من ؟ فقال أخو زوجك في الله جئت لزيارتــه ، فقالــت راح يحتطب لا رَدَهُ الله ولا سَلَمَه وفَعَل به وفعل وجعلت تذمــذم عليــه ، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقــد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها فأكل مع أخيه شيئا ثم ودعه وانصرف وهــو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة قال فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالبــاب ؟ قال أخو زوجك فلان في الله ، فقالت مرحبا بك وأهلا وسهلا اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية ، قال فتعجب من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيــضا لذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعامــا لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما أراد أن يفارقه قــال يــا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه ؟ قال وما هو يا أخي ؟ قــال عام أول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيرا

ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ؟ ورأيت العام كلام المرأة لطيفا لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب قال يا أخي توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرا على خلقها وما يبدو منها كنت معها في تعب وأنا أحتملها فكأن الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا في راحة معها فانقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة .

الذهبي : الكبائر ١٧٣.

هذه قصة طريفة تعلم الصبر على خلق الزوجة نقلتها لكم لعلها فيها فائدة إن شاء الله تعالى، يقول صاحبها زوجني والدي من ابنة صديقه، تلك الفتاة الهادئة الوديعة التي طالما تمنيت أن أرتبط بها، رغم أني لم أرها إلا مرات قليلة عند زياراتهم لنا في بيتنا الكبير، كانت صغيرة السن يوم خطبتها، ولمست فيها حياء جميلا وأدبا رفيعا لم أره في فتاة من قبل، وبعد عدة شهور تم الزواج"... "عشت معها عدة أيام في نعيم مقيم، وفي اليوم الخامس تقريبا وبعد أن انتهى الطعام الذي كان مخزنا لدينا، فاجأتني بصوتها الهادئ أنها لا تعرف أي شيء عن الطبخ، فابتسمت وقلت لها :أعلمك، فاختفت ابتسامتها وقالت:لا، قلت :كيف لا ؟ فكشرت وقالت بحدة :لن أتعلم، حاولت إقناعها بهدوء بأهمية هذا الأمر ففاجأتني بصرخة مدوية

كادت تصم مسامعي، أصابني ذهول شديد وأنا أراها تصرخ بـــدون توقف، أخذت أتوسل إليها أن تهدأ دون جدوى، ولم تتوقف إلا بعـــد أن هددتها بالاتصال بأبي، فعادت إلى هدوئها ورقتها لم يكـــن مـــن الصعب أن أكتشف أنها كانت تدعي الرقة والوداعة، وأن صوتها هذا الذي كان سببا في إعجابي بها كان يخفي من خلفه نفيرا أعلى مـــن نفير أي قطار" ديـــزل "على وجه الأرض، لقد أصبح كلامها كله لي أوامر عصبية متشنجة، ولم تعد تهـــدأ إلا إذا هددتها بالاتصال بأبي، فتعتذر بشدة وتؤكد أنها لن تعود إلى هذه الأفعال، سألت والدتها عن أمرها هذا، فقالت وهي تكاد تبكي:إن ابنتها قـــد أصـــيبت بـــصدمة عصبية في طفولتها أفقدتها الاتزان وجعلتها تثور لأقل ســـبب، لـــم أقتنع ، وسألتها لماذا لا تهـــدأ ولا ترتدع إلا أمام أبـــي، فـــأخبرتني أنها منذ طفولتها كان كثـــيرا مايـــــعطف عليـــها ويـــــأتي لهـــا بالحلوى واللعب ، ومن أيامها وهي تحبه وتحترمه أكثـــر مـــن أي إنسان آخر .يا إلهي.. إن والدي كان يعلم بحالتها ولم يخبرني، لماذا فعل أبي ذلك معي ؟؟؟قبل أن أفاتح أبي أني سأطلقها فورا قـــدر الله أن استمع في المذياع إلى حديث لرسول الله رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول فيه" إذا أحب الله قوما ابتلاهم، فمن رضي وصبر فله الرضا، ومن سخط فله السخط "نزل الحديث على قلبي كالمـــاء البارد في يوم شديد الحرارة، فعدلت تماما عن فكرة الطلاق وفكرت أن هذه هي فـــرصتي الذهبية كي أنول رضا الله جل وعلا بعـــد أن أذنبت في حياتي كثيرا، وقررت أن أصبر على هذه الزوجة عسى أن

يصلحها الله لي مع مرور الوقت...تحملت الصراخ الدائم في المنزل، وكنت أضع القطن في أذني فكانت تزيد من صراخها في عناد عجيب، هذا إلى جانب الضوضاء التي لا تهدأ في الشارع الذي نسكن فيه حيث يوجد أكثر من أربعة محلات لإصلاح هياكل السيارات، ولأن عملي يتطلب هدوءا في المنزل، فقد كدت أفقد عقلي أمام هذا السيل الصاخب من الضوضاء، ولكن كان دائما يمدني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ــ الذي كتبته أمامي على الحائط بخط جميل ــ بشحنة جديدة من الهدوء والصبر، وكان ذلك يزيد من ثورة زوجتي، وهكذا استمرت أحوالنا شهورا طويلة كاد أن يصيبني فيها صدمة عصبية أشد من تلك التي أصابتها، أصبح الصداع يلازمني في أي وقت ، وأصبحت أضطرب وأتوتر جدا لأي صوت عال ، ونصحني إمام المسجد المجاور لبيتي ألا أدع دعاء جاء في القرآن الكريم وهو" ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما "حتى رزقنا الله بطفلنا الأول، وكان من نعمة الله علينا في منتهى الهدوء لا يكاد يصدر منه صوت !!! ...بكاؤه حالم كأنه غناء ،وكأن الله عوضني به عن صبري خيرا، وفرحت به زوجتي جدا ورق قلبها وقل صراخها، وأيقنت أن همّي سيكشفه الله بعد أن رزقنا بهذا الابن الجميل"والآن وبعد طفلنا الثاني تأكدت من تخلص زوجتي تماما من أي أثر لصدمتها القديمة، بل ومنّ الله علينا فانتقلنا من سكننا القديم إلى منطقة هادئة جميلة لا نسمع فيها ما كنا نسمعه".. سلام قولا من رب رحيم.. " لقد ازداد يقيني أن

الصبر على البلاء هو أجمل ما يفعله المسلم في هذه الحياة، وأنه السبيل الوحيد للوصول إلى شاطئ النجاة.

كما ينبغي للرجل ألا يستعمل الطلاق كلّما حدث بينه وبين أهله نزاع ، وذلك لما يترتب على الطلاق من عواقب وخيمة . وكثير من الرجال يتهاونون بشأن الطلاق فكلما حصل نزاع بينه وبين أهله حلف بالطلاق ، وكلما اختلف مع أصحابه حلف بالطلاق ، وهكذا . وهذا نوع تلاعب بكتاب الله ، وإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتبر من يطلق امرأته ثلاثاً جميعاً متلاعباً بكتاب الله ، فكيف بمن اتخذ الطلاق ديدنه ، فكلما أراد منع زوجته من شيء أو حثها على فعل شيء حلف بالطلاق ؟!.

عن مَحْمُود بْن لَبِيدٍ قَالَ أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلاثَ تَطْلِيقَاتٍ جَمِيعًا ؟ فَقَامَ غَضْبَان ثُمَّ قَالَ : أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ؟! حَتَّى قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلا أَقْتُلُهُ ؟ **رواه النسائي ٣٤٠١ ، قال الحافظ: رجاله ثقات اهـ وصححه الألباني في غاية المرام ٢٦١.**

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " هؤلاء السفهاء الذين يطلقون ألسنتهم بالطلاق في كل هين وعظيم ، هؤلاء مخالفون لما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : (مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ) **رواه البخاري (٦٦٧٩)**، فإذا أرد المؤمن أن يحلف

فليحلف بالله عز وجل ، ولا ينبغي أيضاً أن يكثر من الحلف لقوله تعالى :
(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) المائدة/ ٨٩ . ومن جملة ما فسرت به الآية أن المعنى : لا تكثروا الحلف بالله أمّا أن يحلفوا بالطلاق مثل : عليّ الطلاق أن تفعل كذا ، أو عليّ الطلاق ألا تفعل ، أو إن فعلت فامرأتي طالق ، أو إن لم تفعل فامرأتي طالق وما أشبه ذلك من الصيغ ، فإن هذا خلاف ما أرشد إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " انتهى من "فتاوى المرأة المسلمة" (٧٥٣/٢).

كانت عند رجل امرأةٌ يقال لها أم مالك وكان بها معجباً. فأقسمت عليه أمّه أن يطلّقها، فذهب عقله، ونحل جسمه. فحضره الموت، فدخلت عليه أم مالك تعوده، فلمّا ولّت قال لأمّه: يا عجوز ليهنك فقد ابنك في الدّنيا، والإثم لك في الآخرة. ثمّ أنشأ أن يقول:

لنا حاجةٌ في آل مروان دونها *** من النّفر الغرّ الوجوه قبيل
فمت كمداً إنّ كان يومك قد أتى *** أو اصبر على ما خلّيت فقليل

فلمّا خرجت عنه، فاضت نفسه. وما وصلت إلى منزلها حتّى سقطت ميّتة.

وها هو الفرزدق، يبدي فيها ندمه على تطليقه زوجته نوار :

ندمتُ ندامةَ الكُسعي لما *** غدت مني مطلقة نوارُ
وكانت جنتي فخرجت منها *** كآدم حين أخرجه الضرارُ
ولو أني ملكتُ بها يميني *** لكان عليَّ للقدرِ اختيارُ

وقال الهيثم بن عدي: كانت تحت العربان بن الهيثم بن الأسود بنت عم له، فطلقها، فتبعتها نفسه، فكتب إليها يعرض لها بالرجوع فكتبت إليه:

إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلاً * * * إن الغزال الذي ضيعت مشغولُ

فكتب إليها:

من كان ذا شغل فالله يكلؤه * * * وقد لهونا به والحبل موصولُ

وقد قضينا من استطرافه طرفا * * * وفي الليالي وفي أيامها طولُ

وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدي. فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه. فدخل عليه أشعب، فقال له: أبلغ سعدي عني رسالةً، ولك مني خمسة آلاف درهم. فقال: عجلها. فأمر له بها. فلما قبضها قال: هات رسالتك، فأنشدها:

أسعدي ما إليك لنا سبيلٌ * * * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى، ولعل دهراً أن يواتي * * * بموت من خليلك أو فراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها. فقالت له: ما بدا لك من زيارتنا يا أشعب؟ فقال: يا سيدتي. أرسلني إليك الوليد برسالة، وأنشدها الشعر. فقالت لجواريها: خذن هذا الخبيث. فقال: يا سيدتي، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم. قالت: والله لأعاقبنك أو لتبلغن إليه ما أقول لك. قال: سيدتي اجعلي لي شيئاً. قالت لك بساطي هذا. قال: قومي عنه. فقامت عنه وألقاه على ظهره. وقال: هاتي رسالتك، فقالت: أنشده:

أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع**

فلما بلغه وأنشده الشعر سقط في يده، وأخذته كظمة ثم سرى عنه، فقال: اختر واحدة ً من ثلاث: إما أن نقتلك، وإما أن نطرحك من هذا القصر، وإما أن نلقيك إلى هذه السباع. فتحير أشعب وأطرق حيناً، ثم رفع رأسه فقال: يا سيدي، ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى. فتبسم وخلى سبيله. **ابن عبد ربه : طبائع النساء وما جاء فيها ٩٠.**

ذكروا أن هارون الرشيد الخليفة العبّاسي المعروف غضب يوماً على أحد حرسِه أو خدمِه،غضِب على رجل،فأقسم بالله أنّ امرأته طالق إن بات هذا الرجل في ملكه، وخلافة هارون الرشيد كانت خلافة عامرة،أين يذهب هذا الرجل؟كلّ البلادِ بلادٌ إسلامية تَبَعٌ لهارون الرشيد،فسأَلَ أحدَ العلماء:أين يبيت هذا وأنا قد حلفتُ أنه ما يبيت الليلة في مُلكِي،وأنا أملِك من المشرق إلى المغرب؟فأشار العالم أن يبيت في المسجد؛لأن الله يقول: " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) **سورة الجن**.

كان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني إني أرى هذه أذهلت رأيك وغلبت

على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك إلا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الأبيات :

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارِقٌ *** وما نام قُمْرِيٌّ الحمامِ المُطَوَّقُ
أعاتِكُ قلبِي كلَّ يوم وليلة *** لديك بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ *** وخَلْقَ مصونٌ في حياءٍ ومصدَقُ
فلم أرَ مثلي طلَّق اليوم مثلَها *** ولا مثلَها في غير شيءٍ تُطَلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال يا عبد الله راجع عاتكة فقال أشهدك أني قد راجعتها وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له يا أيمن أنت حر لوجه الله تعالى أشهدك أني قد راجعت عاتكة ثم خرج إليها يجري إلى مؤخر الدار وهو يقول:

أعاتِكُ قد طُلِّقتِ في غيرِ رِيبةٍ *** ورُوجعتِ للأمر الذي هو كائِنُ
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ *** على الناس فيه أُلفةٌ وتباينُ
وما زال قلبي للتَّفرُّق طائراً *** وقلبِي لما قد قَرَّب اللهُ ساكِنُ
ليَهْنِكِ أني لا أرى فيكِ سَخْطةً *** وأنك قد تَمَّتْ عليك المحاسنُ

وقال :

فلِلَّه عينَا مَنْ رأى مثلَه فتىً *** أكَرَّ وأحمَى في الهياجِ وأصْبَرا
إذا شُرِعت فيه الأسِنَّةُ خاضَها *** إلى الموت حتى يترُك الرُّمح أحمرَا
فأقسمتُ لا تنفَكُّ عيني سَخِينَةً *** عليكَ ولا ينفكُّ جِلْدِيَ أغبرا
مَدَى الدَّهْرِ ما غنّت حمامةُ أيكةٍ *** وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المُنَوَّرَا

راجع : السير (٤٧٢/٢)،السيرة الحلبية ٨٣/٣، الوافي بالوفيات ١٦ / ٣١٨ ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ، ، للبري ٣٤١/١ة، أخبار مكة للفكهاني ٤٦٤/٧.

وعن عبد الرحمن بن محمد بن أخي الأصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني إن رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وإنما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال إلى متى هذا النزاع ما أظن هذا إلا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا إليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المتعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جاره له فأشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق إن أجازني بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك ذلك فعجب الرشيد من ذلك . الإبشيهي: المستطرف ٤٩٦/٢.

فانظر كيف يندم الزوج ندماً شديداً على تسرعه في طلاق زوجته ، ولات ساعة مندم .

فالحكمة تقتضي التريث وعدم التسرع وأن يتصارح الزوجان عند حدوث الخلاف ، وأن يبحثا عن الحلول المناسبة للشقاق بعيداً عن التطاول والانفعال والهوى والانتصار للنفس وحب الذات ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ " وَرُوِيَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا.
أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٨/٥ ، رقم ٥٤٥٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧١/١ ، رقم ٧٤٥) الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٤١٣ .

فالحياة الزوجية السليمة هي التي تقوم على الصدق والمصارحة منذ البداية ، خطب بلال رضي الله عنه لأخيه امرأة من قريش ، فقال لأهلها نحن من قد عرفتم ، كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى ، وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى ، وأنا أخطب إليكم ابنتكم لأخي ، فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى ، وإن تردونا فالله أكبر ، فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : بلال ممن عرفتم سابقته ، وعلمتم مكانته من رسول الله ، فزوجوا أخاه فزوجوه ، فلما انصرفوا قال له أخوه : يغفر الله لك يا بلال ، أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ، وتترك ما عدا ذلك ؟ فقال : مه يا أخي ، إنما صدقتُ فأنكحك الصدق .**إحياء علوم الدين ٣٩/٢.**

والزوج العاقل هو الذي يحكم شرع الله تعالى عند الخلاف ، ويتبع الأسلوب الأمثل في إصلاح زوجه ، وهو ما أرشدنا الله تعالى إليه في كتابه الكريم ، وحدد سبله فقال : " وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) سورة النساء.

فبعض الأزواج يجعل أول الحلول الطلاق وينسى أن هناك خطوات كثيرة تسبق الطلاق وهي :

أولاً ـ الوعظ والإرشاد:

بأن يتكلم معها بكلام رقيق لين، بأن يقول لها: كوني من الصالحات القانتات الحافظات للغيب، ولا تكوني من كذا وكذا، أو: اتقي الله في الحق الواجب لي عليك، واحذري العقوبة، لقوله تعالى: {واللاتي تخافون نشوزهن، فعظوهن} النساء:٤/٣٤ ، وذلك بلا هجر ولا ضرب.

ويبين لها أن النشوز يسقط النفقة والقسم مع ضرائرها، فلعلها تبدي عذراً، أو تتوب عما وقع منها بغير عذر. والخوف هنا بمعنى العلم، والأولى بقاؤه على ظاهره، فمن ظهر له أمارة نشوز أو تحققه، وعظها.

ويلتزم معها بأدب النصح الذي يكون في أوله تلميحاً لا تصريحاً وتصحيحاً لا تجريحا .

ثانياً ـ الهجر في المضجع والإعراض:

إن تحقق النشوز بأن عصيته وامتنعت من إطاعته، أو خرجت من بيته بغير إذنه ونحوه، هجرها في المضجع ما شاء، لقوله تعالى: {واهجروهن في المضاجع} النساء:٤/٣٤..قال ابن عباس: «لا تضاجعها في فراشك» و «قد هجر النبي صلّى الله عليه وسلم نساءه، فلم يدخل عليهن شهراً» متفق عليه..

وهجرها في الكلام ثلاثة أيام، لا فوقها، لحديث أبي هريرة: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». رواه أبو داود والنسائي بإسناد على شرط البخاري ومسلم (الترغيب والترهيب: ٣/٤٥٥).والهجر: ضد الوصل، والتهاجر: التقاطع.

ولا يضربها عند الجمهور، وقال النووي: الأظهر يضرب، لقوله تعالى: {فاهجروهن في المضاجع واضربوهن}.والمراد: واهجروهن إن نشزن، واضربوهن إن أصررن على النشوز، أي إن لم يتكرر نشوز الزوجة وعظها الزوج وهجرها في المضجع وضربها في رأي الشافعية.

ثالثاً ـ الضرب غير المبرح:

إن أصرت على النشوز ضربها عندئذ ضرباً غير مبرح ــ أي غير شديد ــ ولا شائن، للآية السابقة {واضربوهن} فظاهر الآية وإن كان بحرف الواو الموضوعة للجمع المطلق، لكن المراد منه الجمع على سبيل الترتيب، والواو يحتمل ذلك.

ويجتنب في أثناء الضرب: الوجه تكرمة له، ويجتنب البطن والمواضع المخوفة خوف القتل، ويجتنب المواضع المستحسنة لئلا يشوهها، ويكون الضرب ــ كما أبان الحنفية ــ عشرة أسواط فأقل، لقوله صلّى الله عليه وسلم : «لا يجلد أحدكم فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله » (متفق عليه بين أحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة عن أبي بردة بن نيار، وهوصحيح.) وقوله: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها في آخر اليوم» متفق عليه في الصحيحين (نيل الأوطار: ٦/٢١٢).

فإن تلفت من الجلد فلا ضمان عليه عند الحنابلة والمالكية؛ لأن الضرب مأذون فيه شرعاً. وقال أبو حنيفة والشافعي: إنه يضمن؛ لأن استيفاء الحق مقيد بشرط السلامة للآخرين.

ويكون الضرب أيضاً بيد على الكتف مثلاً، أو بعصا خفيفة أو بسواك ونحوه.

إن رأى الزوج هذا. والأولى الاكتفاء بالتهديد وعدم الضرب، لما قالت عائشة: «ما ضرب رسول الله صلّى الله عليه وسلم امرأة له ولا خادماً، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا في سبيل الله، أو تنتهك محارم الله ، فينتقم لله».رواه النسائي . نيل الأوطار: ٦/٢١١).

وإن المتأففين من تشريع التأديب للزوجة الناشز يحاولون دائمًا إثارة هذه القضية في الصحف والمجلات ونحوها، لماذا؟ لكسب ودّ النساء لأغراض لهم سيئة، فتجدهم يستكبرون مشروعية التأديب، ولا يستكبرون أن تنشز الزوجة على زوجها وتترفع عليه وتحقره،

فكيف يريد هؤلاء أن تعالج مثل هذه الناشز؟! ولكن صدق الشاعر الجاهلي الشنفرى لما خاطب امرأته قائلاً:

وإذا ما جئتِ ما أنهاك عنه * * * ولم أنكرْ عليك فطلقيني

فأنت البعل يومئذ فقومي * * * بسوطك لا أبا لك فاضربيني

رابعاً ـ طلب إرسال الحكمين:

إن نفع الضرب لبعض النساء الشاذات، فبها ونعمت، وإن لم ينفع وادعى كل من الزوجين ظلم صاحبه ولا بينة لهما، رفع الأمر إلى القاضي لتوجيه حكمين إليهما، حكماً من أهله وحكماً من أهلها، للإصلاح أو التفريق، لقوله تعالى: {وإن خفتم شقاق بينهما، فابعثوا حَكَماً من أهله، وحَكَماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما}.النساء:٤/٣٥.

والحكمان: حران مسلمان ذكران عدلان مكلفان فقيهان عالمان بالجمع والتفريق؛ لأن التحكيم يفتقر إلى الرأي والنظر، ويجوز أن يكونا من غير أهلهما؛ والأولى أن يكونا من غير أهلهما؛ لأن القرابة ليست شرطاً في الحكم ولا الوكالة. وينبغي لهما أن ينويا الإصلاح لقوله تعالى: {إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما}النساء:٤/٣٥.

وأن يلطفا القول،وأن ينصفا، ويرغبا ويخوفا، ولا يخصا بذلك أحد الزوجين دون الآخر، ليكون أقرب للتوفيق بينهما.

وينفذ عند المالكية تصرف الحكمين في أمر الزوجين بما رأياه من تطليق أو خلع، من غيرإذن الزوج ولا موافقة الحاكم، بعد أن يعجز عن الإصلاح بينهما، وإذا حكما بالفراق فهي طلقة بائنة.

وقال الشافعية والحنابلة: الحكمان وكيلان عن الزوجين، فلا يملكان تفريقاً إلا بإذن الزوجين، فيأذن الرجل لوكيله فيما يراه من طلاق أو إصلاح، وتأذن المرأة لوكيلها في الخلع والصلح على ما يراه.

وقال الحنفية: يرفع الحكمان ما يريدانه إلى القاضي، والقاضي هو الذي يوقع الطلاق، وهو طلاق بائن، بناء على تقريرهما، فليس للحكمين التفريق إلا أن يفوضا فيه. **راجع :وهبه الزحيلي :الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ٢٣٣٢/٩.**

وقع بين الأعمش وزوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح ما بينهما .فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، وجمود كفيه .فقال له الأعمش: قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.**الراغب الأصفهاني :محاضرات الأدباء ٤٩٤/١.**

أما نشوز الزوج على امرأته : فقد قال الله تعالى : وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ. **سورة النساء الآية ١٢٨.**

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية : يعني بذلك جل ثناؤه : وإن خافت امرأة من بعلها يقول : علمت من زوجها

{ نُشُوزًا }يعني : استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها ، أثرة عليها وارتفاعا بها عنها ، إما لبغضة ، وإما لكراهة منه بعض أسبابها : إما دمامتها وإما سنها وكبرها أو غير ذلك من أمورها ، { أَوْ إِعْرَاضًا } يعني : انصرافا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا } يقول : فلا حرج عليهما يعني : على المرأة الخائفة – نشوز بعلها أو إعراضه عنها { أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا } وهو : أن تترك له يومها أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه ، تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله ، والتمسك بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح ، يقول : { وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } يعني : والصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتماسكا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق .

انظر : [جامع البيان] (٩ ٣٦٧ ، ٣٧٨) (تحقيق محمود وأحمد شاكر) .

خامساً ـ الطلاق الرجعي:

وهو الذي يملك فيه الزوج ارتجاع زوجته بدون عقد بل وبدون رضاها، وهو الطلقة الأولى والطلقة الثانية بشرط أن تكون المرأة مدخولاً بها.

فإذا طلقها الطلقة الأولى، أو طلقها الطلقة الثانية، ولم تخرج من عدتها، وكان قد دخل بها؛ فإنه يحق له أن يراجعها ما دامت في العدة، وهذا يسمى الطلاق الرجعي، والأصل في ذلك قوله تعالى : { وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا }.البقرة:٢٢٨.

وأما الطلاق البائن فينقسم إلى قسمين: البائن بينونة صغرى، والبائن بينونة كبرى.

البائن بينونة صغرى: هو الذي لا يملك الزوج فيه ارتجاع زوجته إلا بعقد جديد، وهو الطلاق قبل الدخول، وطلاق الخلع على الصحيح من أقوال العلماء، لقول النبي ﷺ في قصة المخالعة: اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة . أخرجه البخاري ٦٠/٧(٥٢٧٣) و "ابن ماجة" ٢٠٥٦ و"النَّسائي" ١٦٩/٦.

فإذا عقد على امرأة ولم يدخل بها ثم حصل ما حصل فطلقها، فإنها تبين منه، ولا يجب عليها أن تعتد؛ لأنه ما دخل بها، قال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ }. الأحزاب:٤٩.

هذا طلاق قبل الدخول: { فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا } الأحزاب:٤٩.وهذا يسمى بالطلاق البائن بينونة صغرى.

والبائن بينونة كبرى: هو الذي يطلق الطلقة الثالثة، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ،وكما قيل : إذا لم يكن وفاق فطلاق ،وآخر الدواء الكي .

حكى أحدهم قصته مع زوجته فقال :زوجني والدي من ابنة صديقه· تلك الفتاة الهادئة الوديعة التي طالما تمنيت أن أرتبط بها رغم أني لم أرها إلا مرات قليلة عند زياراتهم لنا في بيتنا الكبير· كانت

صغيرة السن يوم خطبتها ولمست فيها حياء جميلا وأدبا رفيعا لـــم أره في فتاة من قبل. وبعد عدة شهور تم الزواج.

عشت معها عدة أيام في نعيم مقيم. وفي اليوم الخامس تقريبا وبعد أن انتهى الطعام الذي كان مخزنا لدينا. فاجأتني بصوتها الهادئ أنها لا تعرف أي شيء عن الـــطبخ. فابتسمت وقلت لها: أعلمك. فاختفت ابتسامتها وقالت:لا. قلت: كيف لا ؟ فكشرت وقالـــت بحدة: لن أتعلم. حاولت إقناعها بهدوء بأهمية هذا الأمر ففاجأتني بـــصرخة مدويـــة كادت تصم مسامعي. أصابني ذهول شديد وأنا أراها تـــصرخ بـــدون توقف. أخذت أتوسل إليها أن تهدأ دون جدوى. ولم تتوقف إلا بعـــد أن هددتها بالاتصال بأبي. فعادت إلى هدوئها ورقتها.

لم يكن من الصعب أن أكتشف أنها كانت تدعي الرقة والوداعة. وأن صوتها هذا الذي كان سببا في إعجابي بها كان يخفي من خلفه نفيرا أعلى من نفير أي قطار "ديـــزل" على وجـــه الأرض. لقـــد أصـــبح كلامها كله لي أوامر عصبية متشنجة. ولم تعد تهـــدأ إلا إذا هددتها بالاتصال بأبي. فتعتذر بشدة وتؤكد أنها لن تعود إلى هذه الأفعـــال. سألت والدتها عن أمرها هذا. فقالت وهي تكاد تبكي:إن ابنتهـــا قـــد أصيبت بصدمة عصبية في طفولتها أفقدتها الاتزان وجعلتها تثـــور لأقل سبب. لم أقتنع . وسألتها لماذا لا تهـــدأ ولا ترتدع إلا أمام أبي. فأخبرتني أنها منذ طفولتها كان كثـــيرا مايـــــعطف عليـــها ويـــأتي لها بالحلوى واللعب . ومن أيامها وهي تحبه وتحترمه أكثر من أي إنسان آخر. يا إلهي ..إن والدي كان يعلم بحالتها ولم يخبرني. لماذا

فعل أبي ذلك معي ؟؟؟" قبل أن أفاتح أبي أني سأطلقها فورا قدر الله أن استمع في المذياع إلى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه "إذا أحب الله قوما ابتلاهم· فمن رضي وصبر فله الرضا ومن سخط فله السخط" نزل الحديث على قلبي كالماء البارد في يوم شديد الحرارة· فعدلت تماما عن فكرة الطلاق وفكرت أن هذه هي فرصتي الذهبية كي أنول رضا الله جل وعلا بعد أن أذنبت في حياتي كثيرا· وقررت أن أصبر على هذه الزوجة عسى أن يصلحها الله لي مع مرور الوقت.

تحملت الصراخ الدائم في المنزل· وكنت أضع القطن في أذني فكانت تزيد من صراخها في عناد عجيب· هذا إلى جانب الضوضاء التي لا تهدأ في الشارع الذي نسكن فيه حيث يوجد أكثر من أربعة محلات لإصلاح هياكل السيارات· ولأن عملي يتطلب هدوءا في المنزل· فقد كدت أفقد عقلي أمام هذا السيل الصاخب من الضوضاء· ولكن كان دائما يمدني حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ــ الذي كتبته أمامي على الحائط بخط جميل ــ بشحنة جديدة من الهدوء والصبر· وكان ذلك يزيد من ثورة زوجتي· وهكذا استمرت أحوالنا شهورا طويلة كاد أن يصيبني فيها صدمة عصبية أشد من تلك التي أصابتها· أصبح الصداع يلازمني في أي وقت · وأصبحت أضطرب وأتوتر جدا لأي صوت عال ونصحني إمام المسجد المجاور لبيتي ألا أدع دعاء جاء في القرآن الكريم وهو "ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما" حتى رزقنا الله

بطفلنا الأول وكان من نعمة الله علينا في منتهى الهدوء لا يكاد يصدر منه صوت... !!! بكاؤه حالم كأنه غناء ·وكأن الله عوضني به عن صبري خيرا · وفرحت به زوجتي جدا ورق قلبها وقل صراخها· وأيقنت أن همّي سيكشفه الله بعد أن رزقنا بهذا الابن الجميل".

والآن وبعد طفلنا الثاني تأكدت من تخلص زوجتي تماما من أي أثر لصدمتها القديمة· بل ومنّ الله علينا فانتقلنا من سكننا القديم إلى منطقة هادئة جميلة لا نسمع فيها ما كنا نسمعه .."سلام قولا من رب رحيم " ..لقد ازداد يقيني أن الصبر على البلاء هو أجمل ما يفعله المسلم في هذه الحياة· وأنه السبيل الوحيد للوصول إلى شاطئ النجاة!!.

(٢) الرسالة الثانية

أيتها الزوجة لا تتسرعي في طلب الطلاق

الزوجة المؤمنة العاقلة هي التي تحرص على إسعاد زوجها وأولادها ، وعلى نشر السعادة والحب داخل بيتها ، وعلى جعل بيتها واحة للأمن والأمان والسكينة والاطمئنان ، فهي تعلم أن حسن معاشرة الزوج سبيل إلى الفوز برضوان الله تعالى ، عنْ عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا صلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ.**أخرجه أحمد ١٩١/١(١٦٦١).**

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ - نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ - أَمَا إِنَّهُ مَا مِن امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَاهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ

امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: " انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ " قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا. أخرجه ابن عساكر (٣٦٣/١٧) . **وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (٤٣٠/٦ ، رقم ٨٧٤٣) قال الألباني : ضعيف 511/11.**

وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا : " ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟ النبي في الجنة ، والصديق في الجنة ،والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله عز وجل ، ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ، وتقول : لا أذوق غمضا حتى ترضى" . **أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٤ / ٣٠٣) والنسائي في "عشرة النساء" (١ / ٨٥). ابن عساكر (٣ / ٨٧) الألباني: في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٥١٥ .**

وقال أبو الدرداء لامرأته ناصحاً لها : إذا رأيتني غضبت فرضي وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب .

وهي التي تناجي زوجها :

رُومَ الفؤادِ لأنتَ غيثٌ ماطِرٌ * * * يروي الفؤادَ المُستهامَ الصادي

زوجي إليكَ تحيةً ممهورةً * * * بالشوقِ بالحُبِّ النبيلِ تنادي

مشفوعةً منّي بأصدقِ لهفةٍ * * * حرّى يسطّرُها دَمِي و مِدادي

هذا يَراعي اليومَ يرشُمُ ثوبَهُ * * * في أسطرٍ ممزوجةٍ بودادِ
بِكَ أستعينُ على الزمانِ و صِرفهِ * * * بعدَ الإلهِ أَلستَ أنتَ عِمادي
بعدَ الإلهِ و حُبّهُ ماذا تُرى * * * للروحِ قد كان السراجُ الهادي
شوقي إليكَ و أنتَ تدخُلُ عُشنا * * * شوقٌ يدومُ على مدى الآمادِ
أدعو الرحيمَ بأن يزيد هناءنا * * * يا جنتي .. يا فارسي .. يا ودادي

وإذا ما وجدت خصومة بينهما بدأت بالصلح فهي الأم الحنون التي يتسع حنانها للجميع ، قال تعالى : " وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) سورة النساء.

ومهما كان الخلاف لا يجري على لسانها طلب الطلاق ،عنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ ، فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ. أخرجه أحمد ٥/٢٨٣ (٢٢٣٨٠٤) و"الدارمي" ٢٢٧٠ و"أبو داود" ٢٢٢٦ و"ابن ماجة" ٢٠٥٥ .
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:لاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا الطَّلاَقَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ فَتَجِدَ رِيحَ الْجَنَّةِ. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا.أخرجه ابن ماجة (٢٠٥٤).

بل تدعو له دائما بالخير ولا تتمنى له الشر ، كانت فتاة تسير في الغابة لوحدها عندما رأت ضفدعا مسكينا عالقا في مصيدة فطلب

منها الضفدع إن تنقذه.قال لها الضفدع :إن أنقذتني فسوف اضمن لك تحقيق ثلاث أمنيات.

ففكرت الفتاة قليلا وقررت في النهاية أن تساعد هذا الضفدع ولما تحرر الضفدع قال لها :لقد نسيت أن أخبرك أن هذه الأمنيات الثلاث لها شروط..

فقالت الفتاة : ماذا تعني؟؟ فقال لها الضفدع :أن حققت لك أمنية فهذا يعني أن أحقق عشرة إضعافها لزوجك..فقالت الفتاة بعد تفكير : موافقة فهو في النهاية زوجي.. كانت أول أمنياتها أن تصبح أجمل فتاة في العالم فحذرها الضفدع قائلا :موافق ولكن تذكري أن هذا يعني أن يكون زوجك أجمل رجل في العالم بل عشرة أضعاف جمالك وقد تحاول النساء أن تأخذه منك ..فقالت له الزوجة :وما المشكلة إنني سأصبح أجمل فتاة في العالم ولن يجد زوجي غيري ليحب ويتزوج..أما الأمنية الثانية فكانت أن تصبح أغنى فتاة في العالم..فحذرها الضفدع قائلا :موافق ولكن ذلك يعني أن يكون لدى زوجك عشرة أضعاف ثروتك فأجابت الفتاة : وما المشكلة فالمال الموجود معي هو ماله والعكس سوف نجمع ثروتي وثروته معا..

ولما سألها الضفدع عن أمنيتها الثالثة ...فقالت الفتاة : أريد أن تصيبني جلطة" بسيطة جداً" في القلب ..

فسألها متعجبا :ولماذا؟ فقالت الفتاة :لكي يصاب زوجي بعشرة أضعاف جلطتي وأكثر فأحصل أنا على كل الثروة بعد موته.

وعليها أن لا تترك فرصة لمن يتدخل في حياتها ليفسد عليها حياتها ، وذكر أبو نعيم في " الحلية " : كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف إلى منزله من المسجد كبر على باب منزله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته ،وإذا بلغ باب بيته كبر فتجيبه امرأته ، فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد ، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد فلما كان عند باب بيته كبر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه قال فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكت بعود معها فقال لها مالك قالت أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك فقال اللهم من أفسد على امرأتي فأعم بصرها قال وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم قال فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفئ قالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز و جل لها أن يرد عليها بصرها قال فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فرد عليها بصرها. **أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/١٣٠ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٤/٢١٢.**

عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال كان رجل من بني إسرائيل من عباد بني إسرائيل يعمل بالمسحاة وكانت له امرأة من أجمل نساء

بني إسرائيل فبلغ جبارا من جبابرة بني إسرائيل جمالها فأرسل إليها عجوزا فقال خببيها عليه وقولي لها ترضين أن تكوني عند مثل هذا الذي يعمل بالمسحاة ولو كنت عندي لحليتك بالذهب وكسوتك بالحرير وأخدمتك الخدم يعني فقالت لها وكانت تقرب إليه فطره وتفرش له فراشا فلم تفعل وتغيرت عليه فقال يا هنتاه ما هذا الخلق الذي لا اعرفه قالت هو ما ترى قال فطلقها فتزوجها جبار بني إسرائيل فلما دخلت عليه وأرخيت الستور عمي وعميت فأهوى بيده ليلمسها فجفت يده وأهوت بيدها تلمسه فجفت يدها وصما وخرسا ونزعت منهما الشهوة فلما أصبحا رفعت الستور فإذا هم صم عمي خرس فرفع خبرهما إلى نبي بني إسرائيل فرفع خبرهما إلى الله تعالى فقال إني لست أغفر لهما أبدا ظنا أن ليس بعيني ما عملا بصاحب المسحاة .ابن الجوزي : ذم الهوى ٣٨٧.

وحتى لا تندم في وقت لا ينفع فيه الندم ، قال الْأَصْمَعِيُّ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُفَضَّلَ الضَّبِّيّ يَقُولُ – وَسَأَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ قَوْلِ النَّاسِ : « فِي الصَّيْفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ » فَقَالَ : إنّ صَاحِبَ هَذَا الْكَلَامِ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو التَّمِيمِيِّ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ بِنْتُ زُرَارَةَ بْنِ لَقِيطٍ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ ؛ إلَّا أَنَّهُ كَانَ كَبِيرَ السِّنِّ ؛ فَلَمْ تَزَلْ تَسْأَلُهُ الطَّلَاقَ حَتَّى فَعَلَ ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عُمَيْرُ بْنُ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ ابْنُ عَمِّهَا ، وَكَانَ شَابًّا ؛ إلَّا أَنَّهُ كَانَ مُعْدِمًا ، فَمَرَّتْ إبِلُ عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو ذَاتَ يَوْمٍ بِبِنْتِ لَقِيطٍ ، فَقَالَتْ لِخَادِمَتِهَا : انْطَلِقِي ، فَقُولِي لَهُ يُسْقِينَا مِنَ اللَّبَنِ . فَأَبْلَغَتْهُ ،

فَعِنْدَهَا قَالَ : « فِي الصَّيْفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ » ؛ يُرِيدُ أَنَّ سُؤَالَكَ إِيَّايَ الطَّلَاقَ كَانَ فِي الصَّيْفِ ؛ فَيَوْمَئِذٍ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ بِالطَّلَاق .ابن عبد البر :المجالسة وجواهر العلم ١٤٧/٣.

ولقد ضرب الله المثل للمؤمنين والمؤمنات بنساء صالحات مطيعات ونساء عاصيات متمردات ، حتى نعتبر بما في حياتهن من عظات وعبر ، ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وامرأة لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) سورة التحريم.

جاء إبراهيم الخليل عليه السلام إلى مكة، بعدما تزوج إسماعيل عليه يتفقد حال أهله بعد ما تركهم مدة، وكانت أمه هاجر قد ماتت، فلم يجد إسماعيل فدخل على امرأته فسأل عنه.قالت زوجته : خرج يبتغي لنا أي يطلب لنا الرزق(إبراهيم(عليه السلام): وكيف تعيشان؟ وما حالكما؟قالت : نحن بشرٍ! نحن في ضيقة وشدة !وجعلت تشكو إليه قال : فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام وقولي له غير عتبة بابك فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد؟قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسأل عنك ، فأخبرته،وقالت:

سألني كيف عيشنا فأخبرته أنّا في جهد وشدة. قال :فهل أوصاك بشيء؟قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك. قال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك... الحقي بأهلك فطلقها وتزوج من أخرى.فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد، فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه ،قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وما حالكم؟. قالت : نحن بخير وسعة وجعلت تثني على الله تعالى فقال : ما طعامكم؟ قالت : اللحم والماء.قال:إذا أتى زوجك فأقرئي عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه .انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/١.

كان يحكى بأن هناك امرأة وزوجها كان بينهما حب عميق جداً وفي إحدى المرات شعرت الزوجة بتعب شديد وكانت تظن بأنها سوف تموت وحزن الزوج من الأمر الذي ألات له زوجته وكان لدى الزوجة صندوق تضعه فوق دولاب الملابس وكان محظور حظراً تاماً أن يقوم الزوج بلمسه أو الاقتراب منه وكان الزوج يحترم رغبة زوجته بدلك لحبه واحترامه الشديد لها على الرغم من فضوله الشديد لمعرفة سر دلك الصندوق وفي دلك اليوم الذي شعرت في الزوجة باقتراب أجلها نادت بزوجها وطلبت منه إحضار الصندوق لكي تريح الفضول الذي كان يخالجه مند زمن بعيد والحزن الذي كان بالزوج جعله لايهتم بأمر الصندوق ولكن مع إصرار الزوجة على إحضار الصندوق ماكان منه إلا أن وافق لرغبتها وجاء

بالصندوق وجلس بجانب زوجته وطلبت منه فتح الصندوق وأصابته الدهشة أثناء دلك لما رآه فقد رأى دميتين ومبلغ كبير من المال وسألها عن سر الدميتين والمال فأجابته بأنها كانت دائماً عندما تغضب منه وحتى لاتقوم بإثارة المشاكل فكانت تفضل صنع الدمى لكتم غيظها من زوجها فبكى الرجل بكاءاً شديداً وحمد الله عز وجل بأنه لم يغضب زوجته التي أحبها سوى مرتين فقط وطلب منها أن تسامحه وتغفر له إساءته في المرتين التي أغضبها فيهما فما كان منها إلا أن تبسمت بحنان ثم سألها عن المال الذي كانت تحتفظ به ومن أين لها؟؟فإجابته بحرقة شديدة ودموع غزيرة أنها كانت ثمن الدمى الكثيرة جداً التي كانت تخيطها وتقوم ببيعها فلو كانت كل نساء العالم كتلك المرأة لكانت معظم البيوت بخير.

(٣) الرسالة الثالثة

الطلاق آداب وأخلاق

يسعى الزوجان الصالحان إلى وضع المشاكل والخلافات في موقعها الصحيح ، لكن أحياناً تستعصي الأمور وتستحيل على الحلول الممكنة ، ولا يبق إلا آخر الدواء ، وكما قيل إذا لم يكن وفاق فطلاق ، لكن الطلاق هنا له في الإسلام أخلاقياته وآدابه ، حددها الله تعالى في كتابه الكريم فقال : " الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) **سورة البقرة** .

وقال : " أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) سورة الأحزاب .

وقال : " لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) **سورة البقرة** .

وللطلاق في الإسلام أحكامه وآدابه وأخلاقياته ، فأما حكم الطـــلاق فإن الأصل في الطلاق الإباحة، إلا أنه مثل كثير من الأحكام تعتريـــه الأحكام الشرعية الخمسة: الوجوب، والتحريم، والندب، والكراهـــة، والإباحة، ولكل حكم منها موقعه ومجاله.

- فالطلاق الواجب: هو الذي يتحقق عند التيقن أن الاستمرار فـــي هذا الزواج سيؤدي إلى الوقوع في حرام، كالإنفاق مـــن حـــرام، أو مشاركة أحد الزوجين للآخر في عمل محرم شرعا، كشرب خمر، أو عدم صلاة، أو تبرج المرأة .

- والطلاق المحرم: وهو الذي يكون من دون أي ســـبب، أو الـــذي يتيقن فيه الشخص أنه سيتجه للحرام بطلاقه زوجته، ومثله الطلاق البدعي كما سيأتي لاحقا بأنواعه؛ كالطلاق زمن الحيض.

- والطلاق المندوب: ويكون في حال كانت الزوجة سيئة الأخـــلاق، تصعب الحياة معها لبذاءة لسانها.

-والطلاق المباح: فهو فغيره من الصور المتقدمة، والتي يكون فيها السبب عادة الخلافات المستمرة.

-والطلاق المكروه: مثل طلاق الزوجة مستقيمة الحال، ويكره إذا لم يكن له أي داعٍ.

وللطلاق آداب وأخلاق منها :

١- جعل الطلاق بيد الرجل؛ لأنه أثبت قلباً وأقوى نفساً، وأصبر على المكاره، وأضبط لعواطفه من المرأة، كما أن الرجل هو الذي يتكلف ويقوم بأمور الزواج، وهو الذي سيغرم في الطلاق بدفع المهر كاملاً، أو نصفه مع نفقة المتعة، فكل ذلك أدعى إلى التريث والتعقل في أمر الطلاق.

٢- أن يكون رجعياً، أي طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة ، قال تعالى " الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ .. (٢٢٩) سورة البقرة. وهذا العدد يحفظ كرامة المرأة ولا يجعلها ألعوبة بيد الرجل ، جاء عن عمر –رضي الله عنه– أنه كان إذا رفع له رجل طلق ثلاثاً ضربه بالعصى، بل إن الثلاث ترد إلى واحدة لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما :"كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ. فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ.أخرجه أحمد ١/٣١٤(٢٨٧٧) و"مسلم" ٤/١٨٣(٣٦٦٤).

٣- أن يقع الطلاق في حالة هدوء لا غضباً فيه ولا شقاق، عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتِ شَيْبَةَ . قَالَتْ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ ، أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:لا طَلاقَ وَلا عِتَاقَ في إغلاق.أخرجه أحمد ٣٧٦/٦ و"أبو داود" ٢١٩٣.

٤- أن يقع في طهر لم يسبقه جماع فإن لم تكن الزوجة كذلك فاصبر حتى تطهر ثم إن شئت طلقتها وإن شئت أمسكتها ، عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : "أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهْيَ حَائِضٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لْيَتْرُكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهُرَ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فَتِلْكَ الْعِدَّةُ التي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ. أخرجه مالك "الموطأ" ١٦٨٣. و"أحمد" ٥٤/٢(٥١٦٤) و"البُخَارِيّ" ٥٢/٧(٥٢٥١) و"مسلم" ١٧٩/٤(٣٦٤٣) . ولعل الحكمة في ذلك أن المرأة يتغير مزاجها في أيام الحيض كما أنه تقل رغبة الزوج فيها.

٥- لا تغلظ لها القول بل تلطف في النطق بالطلاق فلا يسب ولا يشتم ولا يقبح بل يلتمس الأعذار المسببة له ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ.ى الزَّوْجِ ؟ قَالَ : أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ، وَأَنْ يَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلاَ يَضْرِبِ الْوَجْهَ ، وَلاَ يُقَبِّحْ ، وَلاَ يَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ. أخرجه أحمد

٤/٤٤٧(٢٠٣٦٢) و"أبو داود"٢١٤٣ و"ابن ماجة"١٨٥٠ و"النَّسائي" في "الكبرى"٩١٠٦.

٦- لا تخرجها من بيتك إلا إذا أتمت العدة وتبين لك من نفسك بانقضائها صدق رغبتك في طلاقها والإصرار على فراقها، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) **سورة الطلاق** ،وكذلك يحرم بالإجماع أن يخطب أحدٌ الرجعية تصريحاً أو تعريضاً؛ لأنها زوجة.

٧- مشروعية الإشهاد على الطلاق وجوباً أو استحباباً؛ لقوله تعالى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) **سورة الطلاق** ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ، ثُمَّ يَقَعُ بِهَا ، وَلَمْ يُشْهِدْ عَلَى طَلاَقِهَا ،

وَلاَ عَلَى رَجْعَتِهَا ؟ فَقَالَ عِمْرَانُ : طَلَّقْتَ بِغَيْرِ سُنَّةٍ ، وَرَاجَعْتَ بِغَيْرِ سُنَّةٍ ، أَشْهِدْ عَلَى طَلاَقِهَا ، وَعَلَى رَجْعَتِهَا . **أخرجه أبو داود (٢١٨٦). وابن ماجة (٢٠٢٥)**، وبوجوب الإشهاد قال الشافعي في القديم.

٨- أن لا يبخسها أي حق من حقوقها، يقول الله تعالى: " وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) **سورة النساء**.
كان ببغداد رجل متزوج بابنة عمه وكان قد عاهدها أن لا يتزوج عليها فجاءته في بعض الأيام امرأة إلى دكانه وسألته أن يتزوج بها فأخبرها بعهده مع ابنة عمه فرضيت منه في كل جمعة يوما فتزوجها واستمر على تلك ثمانية أشهر فأنكرت عليه بنت عمه وأرسلت جاريتها لتنظر إلى أين يذهب فدخل بيتا فسألت عنه الجيران فقالوا قد تزوج فأخبرت الجارية سيدتها بذلك فقالت لا تخبري أحدا فلما مات الرجل أرسلت ابنة عمه جاريتها بخمسمائة دينار وقالت اذهبي إلى زوجته وقولي عظم الله أجرك في فلان فإنه مات وترك ثمانية آلاف دينار سبعة لابنه وألف بيني وبينك فلما أخبرتها دفعت لها ورقة وقالت ادفعيها إلى بنت عمه فإذا فيها براءة من الصداق ولم تأخذ منها شيئا.
كما عليها أيضاً أن لا تبخسه حقه ولا تسيء إليه فلربما رزق منها بالولد فلا تنتقص من مكانة الأب أمام أولاده أو أمام الناس .

٩- ألا يفشي سرها لا في الطلاق ولا بعده ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.أخرجه أحمد ٣/٦٩(١١٦٧٨) و"مسلم" ٤/١٥٧(٣٥٣٢) و"أبو داود" ٤٨٧٠ .

١٠- أن لا يتحدث عنها بسوء بعد الطلاق ، امتثالاً لقول الله تعالى: "وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) سورة البقرة ، يروى أن أحدهم ذهب ليطلق زوجته فسألوه عن سبب طلاقها فقال : لا أتحدث عن زوجتي بما يسوؤها ولا أفشى لها سرها ، وبعد أن طلقها قالوا له : الآن طلقتها فأخبرنا عن سبب طلاقك لها ، فقال : لا يحل لي أن أتكلم عن امرأة صارت أجنبية عني .

وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضر إني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمة علينا ممنع. الإبشيهي: المستطرف ٢/٤٩٦.

وكذلك وهي تطلب منه الطلاق لا تظلمه ولا تتجنى عليه ،عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ أَمَا إِنِّى مَا أَعِيبُ عَلَيْهِ فِي

خُلُق وَلاَ دِينٍ وَلَكِنِّى أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً.أخرجه البخاري ٦٠/٧(٥٢٧٣) و "ابن ماجة" ٢٠٥٦ و"النَّسائي" ١٦٩/٦.

١١- عدم البحث عن حيلة لرد امرأته إليه، فيلجأ إلى نكاح التحليل الذي هو زنى في الواقع، وملعون فاعله، ولا يُحِل المرأة لمطلقها، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ.أخرجه ابن ماجة (١٩٣٤) الألباني :صحيح ، الإرواء (١٨٩٧) ، المشكاة (٣٢٩٦).

وهذا هو التيس المستعار الذي لا يُحِل المرأة، قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : هُوَ الْمُحَلِّلُ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ.أخرجه ابن ماجة (١٩٣٦) الألباني :حسن ، الإرواء (٦ / ٣٠٩ – ٣١٠).

ولا يجوز نسبة هذا النكاح إلى الشريعة مما يجعل بعض الكفرة والجهلة يتندر به، وينتقد به الدين.

١٢– وأخيراً إلى كل مطلقة اعلمي أن الطلاق ليس نهاية العالم، فما زالت الحياة ممتدة أمامك، مليئة بالكثير الكثير، وإذا كنت قد طويت صفحة زواج فاشل فلتفتحي صفحة جديدة، صفحة مليئة بالخير والراحة إن شاء الله .

ولست وحدك المطلقة، فهناك ملايين المطلقات في العالم، لم تنته حياتهن بالطلاق، فمنهن من تزوجت ثانية، ونجح زواجهن الثاني، وعشن حياة سعيدة أنستهن حياتهن الشقية الماضية .

ومنهن من لم تتزوج، لكنها نجحت في أن تكون أديبة مشهورة، أصدرت عشرات الكتب، وقدمت للإنسانية أدباً رفيعاً، أو أن تكون داعية عاملة، هدى الله على يديها مئات الفتيات والنساء إلى طريق الله القويم، فاستحقت من ربها ثواباً كبيراً وأجراً عظيماً .

ومنهن من وجدت في طلاقها، إلى إخوة لها صغار رعتهم وربتهم إذ كانت أمهم قد ماتت عنهم، فوجدت فيهم ما فقدته في زواج لم ينجح .

وبعد أن تطمئن نفسك ويهدأ بالك، وتستيقني أن الطلاق ليس نهاية العالم، عودي إلى الماضي قليلاً: لا لتستعيدي أحزانه، بل لتستفيدي من دروسه وتراجعي أحداثه.

فالزواج رزق والحب بين الزوجين رزق وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها . قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة يقول : (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة) . قالت : فأغضبته يوما فقلت : خديجة ؟ فقال : (إني رزقت حبها) رواه مسلم (٧ / ١٣٤) .

فارض بما قسم الله تعالى لك، واعلمي أن الخير والشر سيبقيان في صراع إلى يوم القيامة.